# الجزء الحادى والعشرون

وَلاَ تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلاَّ بِالَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلاَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا
مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِى أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلٰهُنَا وَإِلٰهُكُمْ وَاحِدٌ
وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ (٤٦) وَكَذٰلِكَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ فَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ
الْكِتَابَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمِنْ هٰؤُلاَءِ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلاَّ
الْكَافِرُونَ (٤٧) وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلاَ تَخُطُّهُ
بِيَمِينِكَ إِذًا لاَرْتَابَ الْمُبْطِلُونَ (٤٨) بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِى صُدُورِ الَّذِينَ
أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلاَّ الظَّالِمُونَ (٤٩) .

## بسم الله الرحمن الرحيم

### شرح المفردات

الجدل : الحجاج والمناظرة ، مسلمون : أى خاضعون مطيعون ، والجحد : نفى ما فى القلب ثبوته أو إثبات ما فى القلب نفيه ؛ والمراد به هنا الإنكار عن علم ، والارتياب : الشك ، الظالمون : أى الذين ظلموا أنفسهم وجحدوا وجه الحق .

## المعنى الجملى

بعد أن بين سبحانه طريق إرشاد المشركين وجدالهم بالخشن من القول ، والمبالغة فى تسفيه آرائهم وتوهين شبههم بنحو قوله : « صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ » وقوله : « لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا » إلى أشباه ذلك ـ أردف هذا بذكر طريق إرشاد أهل الكتاب من اليهود والنصارى بأن يسلك معهم طريق الحجاج بالحسنى، ولا يسفه آراءهم، ولا ينسب إلى الضلال آباءهم.

ذاك أن المشركين جاءوا بالمنكر من القول ونسبوا إلى الله ما لا ينبغى من الشريك والولد ، أما أهل الكتاب فقد اعترفوا بالله وأنبيائه ، لكنهم أنكروا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وقالوا إن شريعتهم باقية على وجه الدهر لا تنسخ بشريعة أخرى ، فينبغى إقناع مثل هؤلاء بالحسن من القول ولفت أنظارهم إلى الأدلة الباهرة الدالة على نبوته وصدق رسالته بما يكون لهم فيه مقنع وبما لو تأملوا فيه وصلوا إلى الصواب وأدركوا الأمر على الوجه الحق ، إلا من ظلموا منهم وعاندوا ولم يقبلوا النصح والإرشاد فاستعملوا معهم الغلظة فى القول والأسلوب الجاف فى الحديث ، لعلهم يثوبون إلى رشدهم ويتأملون فيما يقنعهم من الحجج والبراهين .

ثم أمر رسوله أن يقول لهم : آمنا بالذى أنزل إلينا من القرآن وأنزل إليكم من التوراة والإنجيل ، وإن إلهنا وإلهكم واحد ونحن مطيعون له .

ثم ذكر أن من أهل الكتاب من يؤمن بالقرآن ، كما أن من أهل مكة من يؤمن به ، وما يجحد به إلا من توغل فى الكفر ، وعدم حسن التأمل والفكر ، إذ لا ريب فى صدق رسوله وأن كتابه منزل من عند ربه ، فإن رجلا أميا لا يقرأ ولا يكتب ولم يتعلم العلم ولم يدارس إنسانا مدى حياته يأتى بهذه الحكم والأحكام وجميل الآداب ومكارم الأخلاق ، مما لم يكن له مثيل فى محيط نشأ به، ولا فى بلد كان يأوى به ـ لمن أكبر الأدلة على أنه ليس من عند بشر، بل أوتيه من لدن حكيم خبير.

# الإيضاح

( ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتى هى أحسن إلا الذين ظلموا منهم ) أى ولا تجادلوا من أراد الاستبصار فى الدين من اليهود والنصارى إلا باللين والرفق ، وقابلوا الغضب بكظم الغيظ ، والشغب بالنصح ، والسَّوْرَة بالأناة .

ونحو الآية قوله : « ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ » وقوله : « ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ » وقوله لموسى وهرون حين بعثهما إلى فرعون « فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى » .

إلا من ظلموا منهم وحادوا عن وجه الحق وعموا عن واضح الحجة وعاندوا وكابروا ولم يُجْدِ فيهم الرفق ، فمثل هؤلاء لا ينفع فيهم إلا الغلظة :

ووضع الندى فى موضع السيف بالعلا    مضرّ كوضع السيف فى موضع الندى

قال سعيد بن جبير ومجاهد : المراد بالذين ظلموا منهم ــ الذين نصبوا القتال للمسلمين وآذوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجادلهم بالسيف حتى يُسلموا أو يعطوا الجزية .

(وقولوا آمنا بالذى أنزل إلينا وأنزل إليكم وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون) أى إذا حدثكم أهل الكتاب عن كتبهم وأخبروكم عنها بما يمكن أن يكونوا صادقين فيه وأن يكونوا كاذبين ولم تعلموا حالهم فى ذلك ــ فقولوا لهم : آمنا بالقرآن الذى أنزل إلينا والتوراة والإنجيل اللذين أنزلا إليكم ، ومعبودنا ومعبودكم واحد ونحن خاضعون له ، منقادون لأمره ونهيه والطاعة له .

روى البخارى والنسائى عن أبى هريرة قال : كان أهل الكتاب يقرءون التوراة بالعبرانية ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالذى أنزل إلينا وأنزل

إليكم وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون » وروى عبد الله بن مسعود أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « لا تسألوا أهل الكتاب عن شىء فإنهم لن يهدوكم وقد ضلوا ، إما أن تكذبوا بحق ، وإما أن تصدقوا بباطل » وفى البخارى عن حُمَيد ابن عبد الرحمن سمع معاوية يحدث رهطا من قريش بالمدينة ، وذكر كعب الأحبار فقال : إن كان من أصدق هؤلاء المحدّثين الذين يحدثون عن أهل الكتاب ، وإن كنا مع ذلك لنبلو عليه الكذب .

ثم بين أنه لاعجب فى إنزال القرآن على الرسول فهو على مثال ما أنزل من الكتب من قبل فقال :

( وكذلك أنزلنا إليك الكتاب فالذين آتيناهم الكتاب يؤمنون به ومن هؤلاء من يؤمن به ) أى كما أنزلنا الكتب على من قبلك أيها الرسول - أنزلنا إليك هذا الكتاب ، فالذين آتيناهم الكتب ممن تقدم عهدك من اليهود والنصارى يؤمنون به إذ كانوا مصدقين بنزوله على حسب ما علموا عندهم من الكتاب ، ومن كفار قريش وغيرهم من يؤمن به .

( وما يجحد بآياتنا إلا الكافرون ) أى وما يكذب بآياتنا ويجحد حقها إلا من يستر الحق بالباطل ويغطى ضوء الشمس بالوصائل ويغمط حق النعمة عليه وينكر التوحيد عنادا واستكبارا .

ثم ذكر ما يؤيد إنزاله ويزيل الشبهة فى افترائه فقال :

( وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذا لارتاب المبطلون ) أى وما كنت من قبل إنزال الكتاب إليك تقدر أن تتلو كتابا ولا تخطه بيمينك : أى ليس من دأبك وعادتك ذلك ، إذ لو كنت ممن يقدر على التلاوة والخط أو ممن يعتادهما لارتاب المشركون وقالوا لعله التقط ذلك من كتب الأوائل، ولما لم يكن أمره هكذا لم يكن لارتيابهم وجه .

قال مجاهد : كان أهل الكتاب يجدون فى كتبهم أن محمدا صلى الله عليه وسلم لايخط ولا يقرأ فنزلت هذه الآية .

وخلاصة ما سلف — إنك قد لبثت فى قومك عمرا طويلا قبل أن تأتى بهذا القرآن ، لا تقرأ ولا تكتب ، وكل واحد من قومك يعرف أنك أمى لا تقرأ ولا تكتب ، وهذه صفتك فى الكتب المتقدمة كما قال : « الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ » .

فلا وجه إذاً للشك فى أن هذا القرآن منزل من عند الله وليس مفتعلا من صنع يدك تعلمته من الكتب المأثورة عمن قبلك كما حكى سبحانه عنهم من نحو قولهم : « وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ».

ثم أكد ما سلف وبين أنه منزل من عند الله حقا فقال :

( بل هو آيات بينات فى صدور الذين أوتوا العلم ) أى بل هذا القرآن آيات واضحات الدلالة على الحق ، يسر الله حفظها وتفسيرها للعلماء كما قال : « وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ . فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ ؟ » .

روى البخارى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « ما من نبى إلا وقد أعطى ما آمن على مثله البشر ، وإنما كان الذى أوتيته وحيا أوحاه الله إلىّ فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا » .

( وما يجحد بآياتنا إلا الظالمون ) أى وما يكذب آياتنا ويبخس حقها ويردها إلا المعتدون المكابرون الذين يعلمون الحق ويحيدون عنه .

ونحو الآية قوله « إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ . وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ » .

وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللهِ
وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ (٥٠) أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى
عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٥١) قُلْ كَفَى بِاللهِ
بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ آمَنُوا
بِالْبَاطِلِ وَكَفَرُوا بِاللهِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ (٥٢) .

## المعنى الجملي

بعد أن ذكر الدليل على أن القرآن من عند الله وليس بمفترى من عند محمد صلى الله عليه وسلم ـ أردف هذا بشبهة أخرى لهم وهى أنهم طلبوا من النبى صلى الله عليه وسلم أن يأتى لهم بمعجزة محسوسة كما أتى بذلك الأنبياء السابقون كناقة صالح وعصا موسى ، فأجابهم بأن أمر ذلك إلى الله لا إليه ؛ فلو علم أنكم تهتدون بها لأجابكم إلى ما طلبتم ، ثم بين سخف عقولهم وطلبهم الآيات الدالة على صدقه بعد أن جاءهم بالمعجزة الباقية على وجه الدهر وهى القرآن يتلى عليهم آناء الليل وأطراف النهار ، فيه خبر من قبلهم ونبأ من بعدهم وحكم ما بينهم ، وفيه بيان الحق ودحض الباطل ، وفيه ذكرى حلول العقاب بالمكذبين والعاصين .

ثم أبان أن الله شهيد على صدقه وهو العليم بما فى السموات والأرض ، ثم هدد الكافرين بأن كل من يكذب رسل الله بعد قيام الأدلة على صدقهم ، ويؤمن بالجبت والطاغوت فقد خسرت صفقته ، وسينال العقاب من ربه جزاء وفاقا على جحوده وإنكاره .

أخرج الدارمى وأبو داود عن يحيى بن جعدة قال: جاء ناس من المسلمين بكتب قد كتبوها فيها بعض ما سمعوه من اليهود ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم « كفى بقوم حمقا أو ضلالة أن يرغبوا عما جاء به نبيهم إليهم إلى ما جاء به غيره إلى غيرهم »

فنزلت « أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ » الآية . وأخرج البخارى عند تفسير الآية قوله صلى الله عليه وسلم « ليس منا من لم يتغنَّ بالقرآن » أى يستغن به عن غيره . وعن عبد الله ابن الحرث الأنصارى قال: «دخل عمر بن الخطاب على النبى صلى الله عليه وسلم بكتاب فيه مواضع من التوراة فقال هذه أصبتها مع رجل من أهل الكتاب أعرضها عليك ، فتغير وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم تغيرا شديدا لم أر مثله قط ، فقال عبد الله ابن الحرث لعمر : أما ترى وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقال عمر : رضينا بالله ربا ، وبالإسلام دينا ، وبمحمد نبيا ، فسرِّى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : لو نزل موسى فاتبعتموه وتركتمونى لضللتم ، أنا حظكم من النبيين وأنتم حظى من الأمم » أخرجه عبد الرزاق .

## الإيضاح

( وقالوا لولا أنزل عليه آيات من ربه ) أى وقال كفار قريش تعنتا وعنادا . هلا أنزل على محمد آية من الآيات التى أنزل مثلها على رسل الله الماضين كناقة صالح وعصا موسى وأشباههما من المعجزات المحسوسة التى ترى رأى العين ، فيكون ذلك أقبل لدى النفوس وأدهش للعقول ، فتلجئ إلى التصديق بمن تظهر على يده المعجزة .

فأمره الله أن يجيبهم بقوله :

( قل إنما الآيات عند الله ) أى قل لهم : إنما أمر الآيات ونزول المعجزات إلى الله ، ولو علم أنكم تهتدون لأجابكم إلى ما سألتم ، لأن ذلك سهل يسير عليه ، ولكنه يعلم أنكم إنما قصدتم بذلك التعنت والامتحان ، فهو لا يجيبكم إلى ما طلبتم كما قال سبحانه « وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا » .

( وإنما أنا نذير مبين ) أى ليس من شأنى إلا الإنذار بما أوتيت من الآيات ، لا الإتيان بما اقترحتموه منها ، فعلىَّ أن أبلغكم رسالة ربى وليس على هداكم كما قال

« وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا » وقال : « لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ » .

ثم بين سبحانه سخفهم وجهلهم ، إذ كيف يطلبون الآيات مع نزول القرآن عليهم فقال :

( أو لم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم ) أى أما كفاهم دليلا على صدقك إنزالنا الكتاب عليك يتلونه و يتدارسونه ليل نهار وأنت رجل أمى لا تقرأ ولا تكتب ولم تخالط أحدا من أهل الكتاب ، وقد جئتهم بأخبار ما فى الصحف الأولى و بينت الصواب فيما اختلفوا فيه كما قال : « أَوَلَمْ تَأْتِهِمْ بَيِّنَةُ مَا فِي الصُّحُفِ الْأُولَى » .

ثم بين فضائل هذا الكتاب ومزاياه فقال :

( إن فى ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون ) أى إن فى هذا الكتاب الباقى على وجه الدهر - لرحمة لمن آمن به ببيان الحق و إزالة الباطل ، وتذكرة بعقاب الله الذى حل بالمكذبين قبلكم و بما سيحل بهم من النكال والوبال ، و بما سيكون لمن اتبع سنتهم وكذب بالآيات بعد وضوحها .

و بعد أن أقام الأدلة على صدق رسالته ، و بين أن المعاندين من أهل الكتاب والمشركين لم يؤمنوا به - أمره أن يكل علم ذلك إلى الله وهو العليم بصدقه وكذبه فقال :

( قل كفى بالله بينى و بينكم شهيدا ) أى كفى الله عالما بما صدر منى من التبليغ والإنذار ، و بما صدر منكم من مقابلة ذلك بالتكذيب والإنكار ، وهو المجازى كلا بما يستحق ، و إنى لو كنت كاذبا عليه لانتقم منى كما قال : « وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ . لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ . ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ . فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ » بل إنى صادق فيما أخبرتكم به ، ومن ثم أيدنى بالمعجزات الواضحات ، والدلائل القاطعات .

ثم علل كفايته وأكدها بقوله :

( يعلم ما فى السموات والأرض ) أى هو العليم بكل ما فيهما ، ومن جملته شأنى وشأنكم ، فيعلم ما تنسبونه إلىّ من التقوّل عليه ، وبما أنسبه إليه من القرآن الذى يشهد لى به عجزكم عن الإتيان بمثله ، فهو حجتى الفالجة عليكم ، التى لم تستطيعوا لها ردا ولا دفعا .

ولما بين طريق إرشاد كل من أهل الكتاب والمشركين ـ عاد إلى التهديد والإنكار عليهما ، فقال :

( والذين آمنوا بالباطل وكفروا بالله أولئك هم الخاسرون ) أى والذين يعبدون الأوثان والأصنام ويكفرون بالله ، مع تظاهر الأدلة التى فى الآفاق والأنفس على الإيمان به ، ويكفرون برسوله مع تعاضد البراهين على صدقه ، أولئك هم الأخسرون أعمالا ، المغبونون فى صفقتهم ، من حيث اشتروا الكفر بالإيمان ، فاستوجبوا العقاب حين الوقوف بين يدى الملك الديّان .

وخلاصة ذلك : إن الله سيجزيهم على ما صنعوا من تكذيبهم بالحق ، واتباعهم للباطل ، وتكذيبهم برسول الله ، مع قيام الأدلة على صدقه « نَاراً تَلَظَّى . لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى . الَّذِى كَذَّبَ وَتَوَلَّى » .

---

وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَوْلَا أَجَلٌ مُسَمًّى لَجَاءَهُمُ الْعَذَابُ وَلَيَأْتِيَنَّهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (٥٣) يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ (٥٤) يَوْمَ يَغْشَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (٥٥) .

## المعنى الجملى

بعد أن أنذر الكافرين بالعذاب ، وهددهم أعظم تهديد قالوا له تهكما واستهزاء : إن كان هذا حقا فأتنا به ، وهم يقطعون بعدم حصوله ، فأجابهم بأنه لا يأتيكم بسؤالكم ولا يعجل باستعجالكم ، لأن الله أجله لحكمة ، ولولا ذلك الأجل المسمى ، الذى اقتضته حكمته ، وارتضته رحمته ، لعجله لكم ولأوقعه بكم ، وإنه ليأتينكم فجأة وأنتم لا تشعرون به ، ثم تعجب منهم فى طلبهم الاستعجال ، وهو سيحيط بهم فى جميع نواحيهم ، ويقال لهم على طريق الإهانة والتوبيخ : ذوقوا جزاء ما كنتم تعملون .

## الإيضاح

( ويستعجلونك بالعذاب ولولا أجل مسمى لجاءهم العذاب ) أى ويستعجلك كفار قريش بنزول العذاب ، بنحو قولهم : « مَتَى هَذَا الْوَعْدُ » ، وقولهم : « أَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ » ولولا أجل مسمى ، قد ضربه الله لعذابهم ، لجاءهم حين استعجالهم إياه .

( وليأتينهم بغتة وهم لا يشعرون ) أى وليأتينهم العذاب فجأة ، وهم لا يشعرون بمجيئه ، بل يكونون فى غفلة عنه ، واشتغال بما ينسيهم إياه .

ثم زاد فى التعجب من جهلهم بقوله :

( يستعجلونك بالعذاب ) أى وهم يطلبون منك إيقاع العذاب ناجزا فى غير ميقاته ، ولو علموا ما هم صائرون إليه ، لتمنوا أنهم لم يخلقوا ؛ فضلا عن أن يستعجلوا ، ولأعملوا جميع جهدهم فى الخلاص منه .

ثم بين السبب فى جهلهم وحمقهم ، فقال :

( وإن جهنم لمحيطة بالكافرين ) أى وإن جهنم ستحيط بالكافرين المستعجلين للعذاب يوم القيامة .

ثم ذكر كيف تحيط بهم، فقال :

( يوم يغشاهم العذاب من فوقهم ومن تحت أرجلهم ويقول ذوقوا ما كنتم تعملون ) أى يوم يجللهم العذاب، ويكون من الأهوال والأحوال ما لا يفى به المقال، ويقال لهم على سبيل التوبيخ والتقريع: ( ذوقوا ما كنتم تعملون ) وهذا عذاب معنوى أشد ألما من العذاب الحسى فى نار جهنم .

ونحو الآية قوله : « لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ » وقوله : « لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ » وقوله : « لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَنْ وُجُوهِهِمُ النَّارَ وَلَا عَنْ ظُهُورِهِمْ » الآية، وقوله : « يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ » وقوله : « يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا. هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ » .

---

يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ (٥٦) كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ (٥٧) وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ (٥٨) الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٥٩) وَكَأَيِّنْ مِنْ دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٦٠) .

## المعنى الجملى

بعد أن ذكر سبحانه أحوال المشركين، وأحوال أهل الكتاب، وأنذرهما بالخسران، وجعلهما من أهل النار ـ اشتد عنادهم وآذوا المؤمنين ومنعوهم من العبادة، فأمرهم الله بالهجرة إلى دار أخرى إن تعذرت عليهم العبادة فى ديارهم .

ولما كانت مفارقة الأوطان عزيزة على النفس كريهة لديها ، بين لهم أن المكروه واقع لامحالة إنْ لم يكن بالهجرة فهو حاصل بالموت ، فأولى بكم أن يكون ذلك فى سبيل الله لتنالوا جزاءه ومرجعكم إلى ربكم ، وحينئذ تنالون من النعيم المقيم ما لاعين رأت ولاأذن سمعت ولاخطر على قلب بشر ، فهنالك الغرف التى تجرى من تحتها الأنهار ، ونعم هذا الأجر جزاء للعاملين الصابرين المتوكلين على ربهم ، الذين يعلمون أن الله قد تكفل بأرزاقهم ، كما تكفل بأرزاق جميع مخلوقاته ، وهو السميع لدعائهم ، العليم بحاجتهم .

روى أن الآية نزلت فى قوم تخلفوا عن الهجرة ، وقالوا : نخشى إن نحن هاجرنا من الجوع وضيق المعيشة .

## الإيضاح

( ياعبادى الذين آمنوا إن أرضى واسعة فإياى فاعبدون ) أى ياعبادى الذين وحدونى وآمنوا بى وبرسولى محمد صلى الله عليه وسلم إن أرضى لم تضق عليكم فتقيموا منها بموضع لايحل لكم المقام فيه ، فإذا انتشرت فى موضعٍ مّا معاصى الله ، ولم تقدروا على تغييرها ، فهربوا منه إلى موضع آخر تتمكنون من القيام فيه بشعائر دينكم .

روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « البلاد بلاد الله والعباد عباد الله ، فحيثما أصبت خيراً فأقم » ومن ثم لما ضاق على المستضعفين مقامهم بمكة خرجوا مهاجرين إلى أرض الحبشة ليأمنوا على دينهم هناك فوجدوا خير المنزلين لدى أَصْحَمَة النجاشى ملك الحبشة ، فآواهم وأيدهم بنصره وأنزلهم ضيوفا مكرمين ببلاده ، ثم هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم والصحابة الباقون إلى المدينة .

والخلاصة : إن الله أمر المؤمنين بالهجرة إن لم يتسنّ لهم إقامة شعائر دينهم ، إلى أرض يستطيعون فيها ذلك .

ثم حث على إخلاص العبادة له والهجرة من الوطن ، فبين أن الدنيا ليست دار بقاء وأن وراءها دار الجزاء التى يؤتى فيها كل عامل جزاء عمله فقال :

( كل نفس ذائقة الموت ثم إلينا ترجعون ) أى أينما تكونوا يدرككم الموت ، فكونوا فى طاعة الله وافعلوا ما أمركم به ، فذلك خير لكم ، فإن الموت لامحالة آت ، ولله در القائل :

الموت فى كل حين يَنْشُد الكفنا ونحن فى غفلة عما يُراد بنا
لاتركننّ إلى الدنيا وزهرتها وإن توشحت من أثوابها الحسنا
أين الأحبة والجيران ما فعلوا أين الذين همُ كانوا لها سكنا؟
سقاهم الموت كأسا غير صافية صيَّرتهمُ تحت أطباق الثرى رُهُنا

ثم إلى الله مرجعكم ، فمن كان مطيعا له جازاه خير الجزاء وآتاه أتم الثواب .

والخلاصة لايصعبن عليكم ترك الأوطان مرضاة للرحمن ، بل هاجروا إلى أوفق البلاد وإن بعدت ، فإن مدى الدنيا قريب ، والموت لامحيص منه ، ثم إلى ربكم ترجعون ، فيوفيكم جزاء ما تعملون ، فقدموا له خير العمل تفوزوا بنعيم مقيم ، وجنة عرضها السموات والأرض .

ثم بين جزاء المؤمن بربه ، المهاجر بدينه فرارا من شرك المشركين ، فقال :

( والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنبوئنهم من الجنة غرفا تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها نعم أجر العاملين ) أى والذين صدّقوا الله ورسوله فيما جاء به من عنده ، وعملوا بما أمرهم به ، فأطاعوه وانتهوا عما نهاهم عنه لننزلنهم من الجنة علالىّ وقصوراً تجرى من تحت أشجارها الأنهار ماكثين فيها إلى غير نهاية جزاء لهم على ما عملوا ونعم الجزاء .

ثم بين صفات هؤلاء العاملين الذين استحقوا تلك الجنات بقوله :

( الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون ) أى هؤلاء العاملون هم الذين صبروا على

أذى المشركين وشدائد الهجرة وغيرها من الجهود والمشاق ، وتوكلوا على ربهم فيما يأتون وما يذرون كأرزاقهم وجهاد أعدائهم ، فلا ينكلون عنهم ، ولا يتراجعون ثقة منهم بأن الله مُغلٍ كلمتهم ، وموهن كيد الكافرين ، وأن ما قسم لهم من الرزق لن يفوتهم .

ثم ذكر سبحانه مايعين على التوكل عليه وأنه الكافى أمر الرزق فى الوطن والغربة فقال :

( وكأين من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها وإياكم وهو السميع العليم ) أى هاجروا أيها المؤمنون بالله ورسوله ، وجاهدوا أعداءه ، ولا تخافوا عَيْلة ولا إقتارا ، فكم من دابة ذات حاجة إلى الغذاء والمطعم لاتطيق جمع قوتها ولا حمله ، فترفعه من يومها لغدها عجزا منها عن ذلك ، الله يرزقها وإياكم يوما بيوم وساعة فساعة ، وهو السميع لقولكم نخشى من فراق أوطاننا العَيْلة ، العليم بما فى أنفسكم ، وإليه يصير أمركم وأمر عدوكم من إذلال الله إياه ونصرتكم عليه ، ولا تخفى عليه خافية من أمور خلقه .

روى ابن عباس « أن النبى صلى الله عليه وسلم قال للمؤمنين بمكة حين آذاهم المشركون : أخرجوا إلى المدينة وهاجروا ولا تجاوروا الظلمة ، قالوا ليس لنا بها دار ولا عقار ولا من يطعمنا ولا من يسقينا فنزلت الآية » .

---

وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ (٦١) اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٦٢) وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ (٦٣) .

## المعنى الجملى

لما بين الأمر للمشركين وذكر لهم سوء مغبة أعمالهم - خاطب المؤمنين بما فيه مدّكر لهم ، وذكر ما يكون إرشادا للمشرك لو تأمله وفكر فيه ، ومَثل هذا مثل الوالد له ولدان : أحدهما رشيد والآخر مفسد ، فهو ينصح المفسد أوّلا ، فإن لم يسمع يعرض عنه ويلتفت إلى الرشيد قائلا : إن هذا لايستحق أن يخاطب ، فاسمع أنت ولا تكن كهذا المفسد ، فيكون فى هذا نصيحة المصلح وزجر للمفسد ودعوة له إلى سبيل الرشاد .

## الإيضاح

( ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله ) أى ولئن سألت هؤلاء المشركين بالله : من خلق السموات والأرض فسواهن ، وسخر الشمس والقمر يجريان دائبين لمصالح خلقه ؟ ليقولُنّ : الذى خلق ذلك وفعله هو الله .

( فأنى يؤفكون ؟ ) أى فكيف يُصرفون عن توحيده وإخلاص العبادة له بعد إقرارهم بأنه خالق كل ذلك .

والخلاصة — إنهم يعترفون بأنه هو الخالق للسموات والأرض والمسخر للشمس والقمر ، ثم هم مع ذلك يعبدون سواه ويتوكلون على غيره ، فكما أنه الواحد فى ملكه فليكن الواحد فى عبادته ، وكثيرا ما يقرر القرآن توحيد الألوهية بعد الاعتراف بتوحيد الربوبية التى كانوا يدينون بها بنحو قولهم : لبيك لاشريك لك إلا شريكا هو لك تملكه وما ملك .

ولما ذكر اعترافهم بالخلق ذكر حال الرزق من قِبَل أن كمال الخلق ببقائه ، ولا بقاء له إلا بالرزق فقال :

( الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر له ) أى إن الله يوسع رزقه على من يشاء من خلقه ، ويقتر على من يشاء ، فالأرزاق وقسمتها بيده تعالى لابيد أحد سواه ،

فلا يؤخرنكم عن الهجرة وجهاد عدوكم خوف العَيْلة والفقر ، فمن بيده تكوين الكائنات لايعجز عن رزق عباده .

ونحو الآية قوله : « إِنَّ اللهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ » .

ثم علل هذا التفاوت فى الرزق بين عباده بعلمه بالمصلحة فى ذلك فقال :

( إن الله بكل شىء عليم ) أى إنه هو العليم بمصالحكم ، فيعلم من يصلحهم البسط ومن يفسدهم ويعطيهم على حسب ذلك إن شاء .

ثم ذكر اعترافهم بهذا بقوله :

(ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء فأحيا به الأرض من بعد موتها ليقولن الله) أى ولئن سألتهم من ينزل من السحاب ماء فيحيى به الأرض القفر فتصير خضراء تهتز بعد أن لم تكن كذلك ـ لم يجدوا إلا سبيلا واحدة، وهى الاعتراف الذى لامحيص منه بأنه الله فهو الموجد لسائر المخلوقات ، ومن عجب أنهم بعد ذلك يشركون به بعض مخلوقاته التى لاتقدر على شىء من ذلك .

ولما أثبت أنه الخالق بدءا وإعادة ـ نبه إلى عظمة صفاته التى يلزم من إثباتها صدق رسوله صلى الله عليه وسلم فقال :

( قل الحمد لله بل أكثرهم لايعقلون ) أى قل متعجبا من حالهم : الحمد لله على إظهار الحجة واعترافهم بأن النعم كلها منه تعالى ، ولكن أكثر المشركين لايعقلون ما لهم فيه من النفع فى دينهم وما فيه الضر لهم ، فهم لجهلهم يحسبون أنهم لعبادتهم الآلهة دون الله ينالون بها الزلفى والقرب عنده .

والخلاصة — إن أقوالهم تخالف أفعالهم ، فهم يقرون بوحدانية الله وعظيم قدرته وجلاله ، ثم هم يعبدون معه سواه مما هم معترفون بأنه خلقه .

---

وَمَا هَٰذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (٦٤) فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ

لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ (٦٥) لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ (٦٦) .

## شرح المفردات

اللهو : الاستمتاع باللذات ، واللعب : هو العبث وما لافائدة فيه ، الحيوان : أى الحياة التامة التى لا فناء بعدها .

## المعنى الجملى

لما ذكر فيما سلف أنهم يعترفون بأن الله هو الخالق وأنه هو الرازق وهم بعد ذلك يتركون عبادته ويعبدون من دونه الشركاء اغترارا بزخرف الدنيا وزينتها ـ أردف ذلك بأن هـذه الدنيا باطل وعبث زائل ، وإنما الحياة الحقة هى الحياة الآخرة التى لا فناء بعدها ؛ فلو أوتوا شيئا من العلم ما آثروا تلك على هذه .

ثم أرشد إلى أنهم مع إشراكهم بربهم سواه فى الدعاء والعبادة ، إذا هم ابتلوا بالشدائد كما إذا ركبوا البحر وعلتهم الأمواج من كل جانب وخافوا الغرق نادوا الله معترفين بوحدانيته وأنه لامنجّى سواه ، وليتهم استمروا على ذلك ، ولـكن سُرْعان ما يرجعون القهقرى ويعودون سيرتهم الأولى كما هو دأب من يعمل للخوف لا للعقيدة.

## الإيضاح

( وما هذه الحياة الدنيا إلا لهو ولعب ) أى وما هذه الحياة الدنيا التى يتمتع بها هؤلاء المشركون إلا شىء يتعلل به ، ثم هو منقض عما قريب لابقاء له ولا دوام ، ومن ثم قيل : الدنيا إن بقيت لك لم تبق لها ، وأنشد :

تروح لنا الدنيا بغير الذى غدت　　　وتحدث من بعد الأمور أمور
وتجرى الليـالى باجتماع وفرقة　　　وتطلع فيهـــا أنجم وتغور

فمن ظن أن الدهر باق سروره ... فذاك محال لايدوم سرور
عفا الله عمن صير الهمّ واحدا ... وأيقن أن الدائرات تدور

( وإن الدار الآخرة لهى الحيوان ) أى وإن الدار الآخرة لهى دار الحياة الدائمة التى لا زوال لها ولا انقطاع .

( لو كانوا يعلمون ) أى لو كانوا يعلمون أن ذلك كذلك لما آثروا عليها الحياة الدنيا السريعة الزوال الوشيكة الاضمحلال .

ثم أخبر بأن تلك حال المشركين فى الرخاء ، فإذا ابتلوا بالشدائد دعوا الله وحده ليخلصهم منها كما قال :

( فإذا ركبوا فى الفلك دعوا الله مخلصين له الدين ) أى فإذا ركب هؤلاء المشركون فى السفينة وخافوا الغرق دعوا الله وحده وأفردوا له الطاعة ولم يستغيثوا بآلهتهم وأندادهم ، ليخلصوهم من تلك الشدة ، فهلا يكون هذا منهم دائما .

ثم بين سرعة رجوعهم وعودتهم إلى ما كانوا عليه وشيكا فقال :

( فلما نجاهم إلى البر إذا هم يشركون ) أى فلما خلصهم مما كانوا فيه من الضيق ونجاهم من الهلاك ووصلوا إلى البر رجعوا القهقرى وعادوا سيرتهم الأولى وجعلوا مع الله الشركاء ودعوا الآلهة والأنداد .

ونحو الآية قوله « وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلاَّ إِيَّاهُ ، فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا » .

روى محمد بن إسحاق فى السيرة عن عكرمة بن أبى جهل قال : « لما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة ذهبت فارّا منها ، فلما ركبت البحر إلى الحبشة اضطربت بنا السفينة ، فقال أهلها : ياقوم أخلصوا لربكم الدعاء فإنه لامنجّى هاهنا إلا هو ، فقال عكرمة : لئن كان لاينجى فى البحر غيره فإنه لاينجى فى البر أيضا غيره ، اللهم لك على عهد لئن خرجت لأذهبنّ فلأضعن يدى فى يد محمد فلأجدنه رءوفا رحيما فكان كذلك » .

وقال عكرمة : كان أهل الجاهلية إذا ركبوا فى البحر حملوا معهم الأصنام ، فإذا اشتد عليهم الريح ألقوها فيه وقالوا يا رب يا رب .

قال الرازى فى اللوامع : وهذا دليل على أن معرفة الرب فى فطرة كل إنسان ، وأنهم إن غفلوا فى السراء فلا شك أنهم يلوذون إليه فى حال الضراء اه .

( ليكفروا بما آتيناهم وليتمتعوا ) أى يشركون لتكون عاقبة أمرهم الكفران بما آتيناهم من نعمة النجاة ، وليتمتعوا باجتماعهم على عبادة الأصنام وتوادّهم عليها .

ثم تهددهم وتوعدهم فقال :

( فسوف يعلمون ) عاقبة ذلك حين يعاقبون يوم القيامة .

---

أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ (٦٧) وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْكَافِرِينَ (٦٨) وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ (٦٩) .

## المعنى الجملى

بعد أن ذكر أن المشركين حين يشتد بهم الخوف إذا ركبوا فى الفلك ونحوه لجئوا إلى الله وحده مخلصين له العبادة ــ ذكر هنا أنهم حين الأمن كما إذا كانوا فى حصنهم الحصين وهو مكة التى يأمن من دخلها من الشرور والأذى يكفرون به ويعبدون معه سواه ، وتلك حال من التناقض لا يرضاها لنفسه عاقل ، فإن دعاءهم إياه حال الخوف مع الإخلاص ما كان إلا ليقينهم بأن نعمة النجاة منه لا من سواه ، فكيف يكفرون به حين الأمن ، وهم يوقنون بأن الأصنام حين الخوف لا تجديهم فتيلا ولا قطميرا ؟.

# الإيضاح

(أو لم يروا أنا جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم ؟) أى أو لم ير هؤلاء المشركون من قريش ما خصصناهم به من النعمة دون سائر عبادنا ، فأسكناهم بلداً حرّمنا على الناس أن يدخلوه لغارة أو حرب ، وآمنا من سكنه من القتل والسبى والناس من حولهم يقتلون ويُسْبَوْن فى كل حين ، فيشكرونا على ذلك ، ويزدجروا عن كفرهم بنا وإشراكهم ما لا ينفعهم ولا يضرهم .

والخلاصة : إنه تعالى يمتنّ على قريش بما أحلهم من حرمه الذى جعله للناس سواء العاكف فيه والباد ، ومن دخله كان آمنا ، فهم فى أمن عظيم ، والأعراب حولهم نهب مقسم يقتل بعضهم بعضا ، ويسبى بعضهم بعضا ، ثم هم مع ذلك يكفرون به ويعبدون معه سواه .

ونحو الآية قوله : « لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ . إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ . فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ . الَّذِى أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ . وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ » .

ثم بين أن العقل كان يقضى بشكرهم على هذه النعمة ، لكنهم كفروا بها وما جنحوا إلى مرضاة ربهم ، فقال :

(أفبالباطل يؤمنون وبنعمة الله يكفرون ؟) أى أفكان شكرهم على هذه النعمة العظيمة أن أشركوا به ، وعبدوا معه غيره من الأصنام والأنداد ، وبدلوا نعمة الله كفرا وأحلوا قومهم دار البوار ، فكفروا بنبى الله وعبده ورسوله .

والخلاصة : إنه كان من حق شكرهم له على هذه النعم إخلاص العبادة له وألا يشركوا به وأن يصدّقوا برسوله ويعظموه ويوقروه ، لكنهم كذبوه فقاتلوه وأخرجوه من بين أظهرهم ، ومن ثم سلبهم الله ما كان أنعم به عليهم ، بقتل من قتل منهم ببدر ، وأسر من أسر ، حتى قطع دابرهم يوم الفتح ، وأرغم آنافهم وأذل رقابهم .

ولما استنارت الحجة ، وظهر الدليل ، ولم يكن لهم فيه مقنع ، بين أنهم قوم ظلمة مفترون وضعوا الأمور فى غير مواضعها بكذبهم على الله ، فقال :

( ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو كذب بالحق لما جاءه ) أى ومن أظلم ممن كذبوا على الله ، بأن زعموا أن له شريكا ، وأنهم إذا فعلوا فاحشة قالوا : إن الله أمرنا بها ، والله لايأمر بالفحشاء ، وكذبوا بالكتاب حين مجيئه ، دون أن يتأملوا فيه أو يتوقفوا ، بل سارعوا إلى التكذيب أول ماسمعوه .

وفى هذا من تسفيه آرائهم ، وتقبيح طرائقهم ما لايخفى .

ثم بين سوء مغبة أعمالهم بطريق الاستفهام التقريرى ، وهو أبلغ فى إثبات المطلوب ، فقال :

( أليس فى جهنم مثوى للكافرين ؟ ) أى ألا يستوجب هؤلاء الكافرون من أهل مكة الثواء فى جهنم ، وقد افتروا على الله مثل هذا الكذب ، وكذبوا بالكتاب لما جاءهم بلا تريّث ولا تلبث ؟.

والخلاصة : إن مثوى هؤلاء وأشباههم جهنم وبئس المصير .

وبعد أن بين عاقبة أولئك الكافرين ذكر عاقبة المؤمنين الذين اهتدوا بهدى الله وجاهدوا فى سبيله ، فقال :

( والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا ) أى والذين قاتلوا هؤلاء المفترين على الله الكذب ، المكذبين لما جاءهم به رسوله ، مبتغين بقتالهم علو كلمتنا ونصرة ديننا ، لنزيدنهم هداية إلى سبل الخير ، وتوفيقا لسلوكها كما قال : « وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ » وجاء فى الحديث: « من عمل بما علم ورثه الله علم مالم يعلم» ، وقال عمر بن عبد العزيز : إنما قصّر بنا عن علم ما جهلنا تقصيرنا فى العمل بما علمنا ، ولو عملنا ببعض ماعلمنا لأورثنا علما لاتقوم به أبداننا. وقال أبوسليمان الدارانى : ليس الجهاد فى الآية قتال الكفار فقط ، بل هو نصر الدين ، والرد على المبطلين ، وقمع

الظالمين ، وعُظْمه الأمر بالمعروف ، والنهى عن المنكر ، ومنه مجاهدة النفوس فى طاعة الله ، وهو الجهاد الأكبر .

ثم ذكر أن الله يعينهم بالنصرة والتوفيق .

( وإن الله لمع المحسنين ) أى وإن الله ذا الرحمة لمع من أحسن من خلقه ، فجاهد أهل الشرك مصدقا رسوله فيما جاء به من عند ربه بالمعونة والنصرة على من جاهد من أعدائه ، وبالمغفرة والثواب فى العقبى .

روى ابن أبى حاتم عن الشعبى قال : قال عيسى بن مريم عليه السلام : إنما الإحسان أن تحسن إلى من أساء إليك، وليس الإحسان أن تحسن إلى من أحسن إليك.

وقد انتهى بهذا تفسير السورة الكريمة ، ولله الحمد أولا وآخراً .

opeikandi.com

# مشتملات هذه السورة الكريمة

(١) اختبار المؤمنين ليعلم صدقهم فى إيمانهم .

(٢) فى الجهاد فائدة للمجاهد ، والله غنىّ عن ذلك .

(٣) الحسنات يكفرن السيئات .

(٤) الأمر بالإحسان إلى الوالدين و برهما مع عدم طاعتهما فى الإشراك بالله .

(٥) حال المنافق الذى يظهر الإيمان ولا يحتمل الأذى فى سبيل الله .

(٦) حال الكافرين الذين يضلون غيرهم ، و يقولون للمؤمنين : نحن نحمل خطايا كم إن كنتم ضالين .

(٧) قصص الأنبياء : كنوح و إبراهيم ولوط وشعيب وصالح وموسى وهرون ، و بيان ما آل إليه أمر الأنبياء من النصر ، وأمر أممهم من الهلاك بضروب مختلفة من العقاب .

(٨) حجاج المشركين بضرب الأمثال لهم مما فيه تقريعهم وتأنيبهم .

(٩) حجاج أهل الكتاب ، والنهى عن جدلهم بالفظاظة والغلظة .

(١٠) إثبات النبوة ببيان صدق معجزته صلى الله عليه وسلم .

(١١) ذكر بعض شبههم فى نبوته ، والرد على ذلك .

(١٢) استعجالهم بالعذاب تهكما .

(١٣) أمر المؤمنين بالفرار بدينهم من أرض يخافون فيها الفتنة .

(١٤) العاقبة الحسنى للذين يعملون الصالحات .

(١٥) اعترافهم بأن الخالق الرازق هو الله .

(١٦) بيان أن الدار الآخرة هى دار الحياة الحقة .

(١٧) امتنانه على قريش بسكناهم البيت الحرام ، ثم كفرانهم بهذه النعمة بإشراكهم به سواه .